سلطنة غياث الدين بلبان

بعض كلمات وقال انها خطأ فتشفع الامبراطور في الوقت ولما خرج الامير من عنده عاد حالا
واصلح ولما سئل عن السبب قال ان الالفاظ كانت صحيحة الوضع الا اني ما رغبت ولا احب
ان رجلا قليل القدر مثل هذا يتفخر من قولي له ان هذا خطأ منه
وكانت مدة الحكومة الطيبة العظيمة لسلطنة ناصر الدين محمود الذي سبق ذكره مقصورة في اقل
الاحتياجات الضرورية في انتخاب الوزير وكان هذا الانتخاب هو اصل هذه السعادة ودوام
استتباب راحة الملك والرعية وكان الوزير الذي انتخبه الملك لنفسه اسمه بلبان ولقبه غياث
الدين وبسبب ما كان عليه هذا الوزير من الحزم والعقل وتدبير الاحكام والعدل صار معززا
معتبرا عند عموم الناس والحواشي والاطراف ومن ثم بمجرد موت الملك ناصر الدين وما كان له
عقب يخلفه في ملكه فاحتل غياث الدين محله وجلس على تخت المملكة من دون معارضة او منازعة
ومن النادر اذا غاصبا يصعد على تخت مملكة معادون ان يغرق نفسه في هدر الدماء والقتل
الا هذا الوزير الا انه كان واحدا من ضمن اربعين رئيس تركي اشتركوا مع بعضهم في تقسيم
المملكة فلما تعين للوزارة وكان مملوكا ايضا حل عقدته منهم وبعد عنهم ومن بعد ان جلس
على التخت حفظ سلامة نفسه منهم فقتل بعضهم بالسيف والبعض بالسم ومن بعد ما وطد
بهذه الجريمة سلامة نفسه وحياته منهم وكانت قامت الغيرة والحسد في ابدانهم عليه ما ارفلا
يده مرة اخرى في هدر دما وسفك ارواح بل اقام العدل وسلك طريق الرأفة واللين
وجذب قلوب رعاياه لمحبته واجرا اجراءات عادلة ما فعلها اشهر الملوك قبله الذين حكموا
في الهندوستان وكان بلبان ايضا من طائفة الملوك المماليك وكان المغل قبضوا عليه
وارسلوه الى بغداد وباعوه لاحد تجار البصرة فلما عرف هذا التاجر انه من اقارب السلطان
التمش توجه به الى دلهي واكتسب في نظير ذلك مكاسب جمة من شمس الدين التمش ورفعته
مهارته وجودة قريحته في اقرب مدة الى درجة القيادة في العسكرية ولما حضر امر السلطان
بيرام جهزة كان بلبان احد الالات المؤثرة الفعالة في خلع المملكة راضية وتولد من
حصول الدمار والخراب في آسيا الوسطى من قبائل المغل وجيوشهم طرد امامهم جما غفيرا من
الملوك والائمة والشعرا والفقها حتى راى هولا محلا يلتجؤن فيه الا الديوان الهندي فكان
يوجد على مائدته لا اقل من خمسة عشر ملكا كانوا مستقلين في سلطنتهم لما يأكلون من
خيراته ويتلذذون بنعم الايادي وسمى شوارع دلهي باسما ممالكهم التي كانوا ملوكا فيها مثل
بغداد وشارع خوارزم وشارع الغور ولما جلس على تخت السلطنة غير بالكلية الهيئة
التي كان عليها الديوان في مدة سيده واعاد كافة الارفاقات(?) والهيئات التي كان عليها اسلافه وكان
يظهر للعموم في هيئة جمال وابهة تذهل العقل وما كان له من ميل في الشرق واشتغل على
التدريج في جذب قلوب رعيته اليه واسكن الملوك الذين وفدوا عليه هاربين من المغل
وما خلفا جنكيز خان وكان من جملتهم اثنان من اولاد الخلفا في محلات واسعة فسيحة
لايقة بمقامهم وراحتهم واجرى عليهم كل ما يمكن به ان ينسوا ما حصل لهم من سوء الحال ونكد
الطالع وكانوا يصطفون في مجلسه حول تخته وظهر من اجلال احترامهم له وكانوا اجلبوا اسلام
الجم الغفير من العلما والشعرا وامهر الناس واذ كان هم الذين كانوا مرتبين بهم دواوينهم
ومصالح اشغال دولتهم فنشر الملك غياث الدين بلبان على كل هولا سحايب سخاه وكرم
وبذل جهده في اسدا الخيرات والمعروف والمنة والمرفوة عليهم التي من المحتمل انه لا يمكن لملك
غيره اجراها ولا فعلها ودعى العلما والائمة واهل الادب وارباب ندرة الفنون والعلوم
من الاطراف القاصية من آسيا الى ديوانه وبذل جهده وفعل ما في طاقته في حضور(?) وقت
الشيخ السعدي رئيس فارس في العلم والادب والزهد في حضوره عنده وان يترك رحاب
شيراز فانجح في هذا السعي ورفض ولدى الملك وهما شهيد وقرة في مبارزة(?)
مع ابيهما حتى جعلوا ديوان الهند في اجل نظام واعظم صلاح وتهذيب وابهة في كامل عموم
المعمورة في ذاك الوقت وكان شهيد يجمع كل ليلة في سرايته مجلس من الائمة اهل الدين
والفلاسفة وفي راس هذا المجلس الشاعر خسرو(?) واما قرة وهو الابن الصغير فكان
مجلسه الادباء(?) واهل الالعاب والحكايات والمهرجانات ومن ثم حاز الاثنان معلومات
وادراكات ونور في العقل وصارا على نجابة وبراعة تامة وفي وسط هذه المظاهر الجليلة
ما كان بلبان يقصد الفخر في كونه يكون رجلا فاتحا حتى انه لم يقبل الفرصة التي سنحت له
في وقت وقد عليه يدفيه(?) ممالكه ويوسعها مع ما كان عليه من محافظة على رعيته مع غاية

غاية الشدة والعنف من كل شقي يتعدى ويجور عليها وهزم راجا بوت مواز فقتلوا واسروا وكان
ذلك لما من غاراتهم وسلبهم خراب قسم عظيم من المملكة حتى تركه اهله وهاجروا منه فلو انه
لم يمكنه اخضاع هولا الاشدا الاقويا اولاد الصحرا فانه امر بتنظيف اوعار(?) واسع
كانوا يهربون ويلتجؤن فيه وانشأ خط قلاع من اجل المحافظة على الاقليم حتى جعله في اقرب
وقت قابل للزراعة وذاق المغل من سلاحه وعساكره اشد المصايب والالام وقتل طغرول
خان حاكم بنغالة وكان اقام بيرق العصاوة عليه وهزم جيشان ارسلا اليه وافنى
تقريبا راجا بوتي مواز وهي واقعة في جنوب دلهي وقتل منهم مائة الف بالسيف ومات غياث
الدين بلبان في سنة ١٢٨٦ بعد الميلاد في السنة الثمانين من عمره وتسلطن احد وعشرون
سنة وعد المسلمون مدة سلطنته من اجل العصور وافخرها في الهند
وكان شهيد بن بلبان الابن الكبير الاكثر علما ونجابة مات قبل موت ابوه ولما مات
بلبان كان قرة ابنه غايب في بنغالة وكان حاكما فيها فمن ثم جلس كيقباذ بن قرة على
تخت المملكة بما انه ما كان يمكن ترك التخت خاليا لحظة من الزمن فكان شابا نجيبا مؤملا فيه
الخير والبركة شرب مما شرب منه اهله لكنه عند جلوسه على التخت ترك ما كان عليه من الصفات
الجليلة الحميدة وورد وجهه نحو الرفاهية والخلاعة وترك ازمة الحكومة في يد شخص اسمه نظام
من اضل واخبث الناس المتهورين في نفسه فجار وظلم الرعية وقتل كل مجتهد في معارضته في جوره
وظلمه وفي هذه المدة كان قرة مكتفيا في نفسه بحكومة بنغالة ومحافظا على ما كان عليه من
عهد ابيه فراعه وازعجه ما بلغه من الاخبار والاقوال في قبح سلوك ابنه كيقباذ ومن المحتمل
انه ما كان يرغب ان يتقلد زمام سلطنة مملكة فلما تحقق له الانحراف الذي فيه ابنه طريق الغي
والفساد جمع جيشا ضخما وسار به الى بهار فقابله الامبراطور ابنه في كامل قوته وعدته على
شواطي نهر جوجره فتحركت في جسم قرة الحنية الابوية وارسل رسولا الى ابنه يستعطفه
ويقول له انه من قبل الدخول في الوقائع الحربية واثارها فسفك وهدر دما يجب الاب
المقابلة مع ابنه والاتفاق معه على راي فاصل حسن فوقع الاتفاق على هذا وانتفخ كيقباذ
في كبريائه وعظمته وجلس على تخته الامبراطوري في احفل عظمة واعظم ابهة واما ابوه قرة
فانه عند قربه منه التزم على تقبيل الارض ثلاث مرات امام ابنه طاعة وتعظيما له وزعق
حامل صولجان الامبراطور باعلا صوته ارسل الشريف المبجل قرة السلامة والعافية لملك
الدنيا فلما راى هذا الملك الاقبال(?) يقرع عرصته لهذا الذل والهوان سكب عبرات دموعه
على خدوده ولما نظر كيقباذ ذلة والده تحركت فيه حاسة الحنية الابوية ورمى بنفسه من فوق
تخته على اقدام ابيه وطلب منه العفو والسماح فرفعه قرة من فوق الارض وحضن الاب ابنه
وسكبا عبرات دموعهما على خدودهما وانفتحت بينهما المحادثات الحبية الابوية ولبثا مدة عشرون
يوما اتفق الاثنان في اثنائها على ان كل واحد منهما يكتفي بما تحت يده من الاستحواذات
والاملاك ونصح قرة ابنه كيقباذ في تغيير السير القبيح الذي هو عليه وان لا يعتمد على نظام
ولا يثق به ويبعد عن ما هو فيه من الترفه والخلاعة والفجور ويلتفت الى ادارة احوال مملكته
ويجتهد في اصلاحها فوعد كيقباذ اباه باجراء ونفاذ كل ما امره به واشار به عليه ورجع قافلا
الى دلهي عازما على اجراء نصايح ابيه فسار عليها مدة قليلة من الزمن فجمع له الوزير الملعون كل
سحار وفتان وكل جميلة من الفتيات الموصوفات بالحسن والجمال فعاد الامبراطور الى ما كان
عليه من السفه والفجور في ان فضعفت صحته وازدرى بحالة رعيته وصار للمغل في مدة
سلطنته شوكة كبيرة ويد قوية في ديوان دلهي وما كانوا قبل سلطنته لهم شهرة او ذكر
او فضل شي في الاقاليم الشمالية من الهند وصار لهم طاقة على اجراء اشغال القسم بيد قوية
كبيرة ومع هذا فكانوا في اتحاد وجامعة تامة مع العايلة الملوكية فلما تجلى عقل الملك كيقباذ
وضعف امره وزاد فجوره ولهوه دبر الامرا من المغل الامر فيما بينهم وجعلوا السلطنة لابنه
وكان طفلا عمره ثلاث سنوات وفي هذه المدة ما كان يوجد في دلهي رجل له شوكة وقوة
بأس اكبر من امير اسمه فيروز من عايلة خلجي وكان قايد الحزب الوطني فضد امرا المغل بقي(?)
كافة المشهورين من الوجوه الخلجية فقاموا على الملك فقتلوه واجلسوا على التخت فيروز هم
ومن بعد قليل قتل الملك الصغير وبقتله انقرضت عايلة المماليك في سنة ١٢٩٠ بعد الميلاد
من بعد سلطنة مكثت اربعة وثمانون سنة وقامت من بعدها العايلة الخلجية كما سنورد
ذكرها من اول الصحيفة الاتية والله المستعان وعليه التكلان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)